

المحاضرة الرابعة: إرهاصات التجديد في النقد الحديث عند رمضان حمود

أولاً- خصائص المدرسة الرومانسية باعتبارها ثورة على المدرسة الكلاسيكية

بعد مدرسة الإحياء ظهرت معالم جديدة في النقد العربي تسعى إلى التجديد في النظرية النقدية ومخالفة مدرسة الإحياء، وبين المحافظة والتجديد وقعت صراعات أدبية ونقدية من أمثال البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم كأَنْصار الإحياء وعلى الجانب الآخر المازني والعقاد وشكري كأَنْصار التجديد، الذين دعوا إلى التحديث والثورة على التقليد، من خلال تأثرهم واحتكاكهم بالغرب، مبتعدين عن كل ما هو قديم وأساليبه الجافة ومضامينه المتكررة. وقد كان للمدرسة الرومانسية الأثر البالغ في التجديد ونجد من بين خصائصها ما يلي:

- الخيال وتمجيد العواطف.
- التركيز على التلقائية والموهبة.
- التجديد والابتكار في الأسلوب والألفاظ.
- الوحدة العضوية على مستوى الأفكار والعواطف والموسيقى.
- الهروب إلى الطبيعة والتأثر بها.
- استعمال اللغة من واقع الحياة اليومية
- طلب الحرية والاغراق في الغنائية.

ثانياً- مظهر التجديد عند رمضان حمود: تأثر رمضان حمود في زمنه بالحركة الرومانسية ليؤسس مع غيره اتجاهًا جديدًا عرف بالاتجاه الوجداني، ويرجع ذلك نتيجة عوامل مختلفة أهمها: التقاء هذه الحركة مع الفكر الرومانسي الأوروبي؛ حيث يعد رمضان حمود البذرة

التي انطلق وبرز منها التيار الرومانسي في الجزائر والوطن العربي عموماً، وهو من أوائل الشعراء والنقاد الذين نادوا بالتجديد الكلي في القصيدة العربية، وكسر قواعدها التقليدية انطلاقاً من مفهوم الشعر إلى الأوزان والقوافي والتجربة الشعرية، وأن يكون دور الشاعر ووظيفته نشدان الحرية للتعبير عن وجدانه بكل صدق وفنية، ليكشف لنا من خلال هذه العناصر عن أهم مظاهر التجديد التي يرمي إليها، وسنوضحها كالتالي:

01- مفهوم الشعر عند رمضان حمود:

تغير مفهوم الشعر مع رمضان حمود التجديدي ليخرج عن مفهومه القديم، باعتباره الكلام الموزون المقفى، إلى أن يصبح ذلك الكلام الذي يولد في الإنسان، ويكون ملازماً له كل فترات حياته، حيث يعرفه بقول: "الشعر تيار كهربائي، مركزه الروح وخيال لطيف تقذفه النفس، لا دخل للوزن والقافية في ماهيته وغاية أمره".

إن هذا القول حسب حمود رمضان يطرح فكرة أن الشعر الحقيقي هو الذي ينبعث من داخل الفرد وأحاسيسه، والانفعالات هي التي تدفعه انطلاقاً من تجربته الصادقة ومشاعره الحقيقية.

02- الخيال أو الصورة الشعرية:

كان الخيال من صورة شعرية أو مجاز ضرورة مطلقة في القصيدة العربية، إذ يقوم الشاعر عن طريقه التأثير على القارئ، وإثارة مشاعر الدهشة والانفعال لديه، لذلك حظيت الصورة الشعرية والخيال باهتمام رمضان حمود؛ حيث أراد من الشعراء أن يختاروا الصورة التي تتناسب مع شعورهم، وعدم التكلف في رسم صورهم الشعرية، وألا تكون مجرد قوالب يزين بها الشاعر شعره، وعليه تكون الصورة الشعرية والخيال عند رمضان حمود هي التي تنطلق من عاطفة صادقة دون تكلف أو تصنع.

03- الأوزان والقوافي:

لم يتوقف التجديد عند رمضان حمود عند مفهوم الشعر أو الصورة الشعرية والخيال فقط، بل تجاوز ذلك إلى الأوزان والقوافي، فقد جدد في كل نواحي القصيدة شكلاً ومضموناً، حيث حاول تحطيم القصيدة العمودية وإعادة هيكلة بنيتها وفق ما يناسب طبيعة العصر، وحاول

التخلص من قيود الوزن والقافية، التي كانت حسبه تحد من حرية الشاعر وإبداعه، إذ يقول وهو يصف ذه الأوزان: "تلك الأغلال الثقيلة القاسية التي أوقفته عن السير زمنا" فهو يعتبرها قيذا يحد الشاعر ولا يستطيع أن ينوع في قصيدته وأوزانها وموسيقاها، وكانت أول قصيدة تؤسس لهذا التوجه الجديد من رمضان حمود بعنوان "يا قلبي" حطم فيها هيكل ومضمون وأوزان وقوافي القصيدة العربية العمودية، خرج عن طريقة الأبيات، ليجعلها عبارة عن أسطر شعرية أو ما يسمى بالقصيدة الحرة، كما نوع فيها القوافي والموسيقى الداخلية والخارجية.

خلاصة:

ضمن هذا التجديد في مفهوم الشعر والخيال والأوزان والقوافي تكمن تأملات وأفكار رمضان حمود النقدية في محاولته التجديدية، وكرد على عبث التقليد؛ حيث جدد في أهم مرتكزات النقد والأدب العربي القديم نظريا وتطبيقيا.